

# الصحراء في السرديات العربية المعاصرة- "نماذج من نصوص إبراهيم الكوني" The Desert in Contemporary Arabic Narratives - "Models from Ibrahim Al-Konys Texts"

بوعلام صمري

Boualem Semmri

مخبر أطلس الثقافة الشعبية الجزائرية، جامعة الجزائر 2

جامعة أمحمد بوقرة - بومرداس (الجزائر)

Mohamed Bougara University - Boumerdès (Algeria)

b.semmari@univ-boumerdes.dz

|                         |                          |                           |
|-------------------------|--------------------------|---------------------------|
| تاريخ النشر: 2025/09/02 | تاريخ القبول: 2025/05/19 | تاريخ الإرسال: 2025/03/15 |
|-------------------------|--------------------------|---------------------------|

ملخص البحث

استطاع الروائي الليبي إبراهيم الكوني أن يستلهم من البيئة الصحراوية كتاباته السردية، حيث تمثل "الصحراء" عالماً غنياً بالرموز والقيم الثقافية، إذ يستخدم هذه البيئة كخلفية لقصصه، مما يعزز من عمق النصوص ويبرز الهوية الثقافية، ويؤكد "الكوني" على القيم الإنسانية التي تتجلى في حياة البدو، مثل الكرم، الشجاعة، والتضامن؛ هذه القيم تعتبر أساسية لبقاء الثقافة في وجه التحديات الحديثة، أما عن تقاطع رواياته مع التراث فهذا أمر جلي، من خلال إعادة صياغة الأساطير والقصص التراثية، كقصة "قاييل وهابيل"؛ والتي يعيد تقديمها من منظور جديد، فيعطى بعداً معاصراً يعبر عن تلك الصراعات الإنسانية الحالية، هذا التفاعل مع النصوص يعيد تفسير القصص الدينية بطريقة تبرز التفاعلات البشرية وما يترتب عليها من نتائج، لجعلها أكثر قرباً للقارئ كما لا يخفى لأي مطلع على كتابات "الكوني" استعماله للرمزية بشكل بارز، حيث تُعبر الشخصيات والأحداث عن قضايا أعمق تتعلق بالوجود والصراع، هذا الاستخدام الذي يثري النصوص ويفتح مجالاً للتخمينات العميقة، وتتجاوز نصوصه السرد التقليدي؛ لأنها تُعالج قضايا أخلاقية وإنسانية معقدة، يُعزز من عمق التجربة القرائية.

ليعتبر "إبراهيم الكوني" مبدعاً فريداً استطاع من خلال أعماله أن يبرز جماليات البيئة الصحراوية ويعيد صياغة التراث الثقافي بأسلوب مبتكر، ولتمثل نصوصه تجسداً للقيم الإنسانية والأخلاقية، فيجعلها ثلامس قلوب القراء وتفتح أمامهم آفاقاً جديدة للتفكير والتأمل.

الكلمات المفتاح: السرد الصحراوي، إبراهيم الكوني، الموروث العربي، فلسفة الفضاء الصحراوي، الأسطورة، التمثيلات المعرفية.

## Abstract:

The Libyan novelist, Ibrahim Al -Kouni, was able to draw inspiration from the desert environment of his narrative writings, where the "desert" represents a world rich

in symbols and cultural values, as he uses this environment as a background, as he uses this environment as a successor, as he uses this environment as a background. It is reinforced from the depth of the texts, highlights the cultural identity, and it focuses on the human values that manifests itself in the life of the bonds, such as generosity, courage, and solidarity; These values are considered essential for the survival of culture in the direction of modern challenges, but about the extraction of his novels with heritage, this is clear, through the reformulation of myths and heritage stories, such as the story of "Qabil and Abel"; Which is re-presented from a new perspective, and it is given a contemporary dimension that expresses these current humanitarian struggles, this interaction with the texts re-interprets the religious stories in a way that highlights human interactions and what it results in it, to make them more than the results of them Approximately to the reader, as it is not afraid of any viewer on the "cosmic" writings of its use of Ramazi in a prominent way, as the characters and events express deeper issues related to existence and conflict, this use that enriches the texts and opens a field of deep gambling Its texts exceed the traditional narration; Because it addresses complex moral and humanitarian issues, to reinforce the depth of the reader experience.

To consider "Ibrahim Al -Kouni" a unique creator who was able, through his works, highlighting the aesthetics of the desert environment and rewritten the cultural heritage in an innovative manner, and to represent its texts as an embodiment of the human values, and the human values, and the human values. The hearts of the readers touch and open new horizons for them to think and contemplate them.

**Keywords:** Sahrawi narration, Ibrahim Al -Kouni, Arab heritage, the philosophy of the Sahrawi space, legend, normally active acts.



#### مقدمة:

أردنا من خلال هذه الورقة البحثية التوصل إلى أهداف النص الأدبي في الأدب العربي المعاصر واستكشاف الهوية الثقافية من خلال نصوص "إبراهيم الكوني"، ومن خلال تسليط الضوء على القضايا الاجتماعية؛ إذ تهدف النصوص الأدبية إلى تناول القضايا الاجتماعية الزاهنة، مثل الهوية والالتقاء، وتقديم رؤى جديدة حول التجارب

الإنسانية، كما تعكس أعمال "الكوني" الأدبية الصراعات التي تواجهها المجتمعات العربية، مما يعزز من فهم القارئ للتحديات التي تطرأ على الهوية الثقافية.

ومن جهة النقد الاجتماعي والسياسي؛ يسعى الكاتب - عموماً - إلى نقد الأنظمة السياسية والاجتماعية من خلال تصوير واقع الحياة اليومية، باعتبار نصوصهم وسيلة للتعبير عن رفض الظلم والاستبداد، كما يتناولون قضايا جوهرية مثل الحرية والمساواة، مما يعكس رغبة المجتمع في التحرر من القيود التقليدية، وهو ما يفرز لا محالة التفاعل مع الثقافات الأخرى؛ فالأدب العربي المعاصر يمكنه من خلال الكتاب أن يستفيد من التنوع الثقافي، ويعزز من الحوار بين الثقافات المختلفة، فيثري التجربة الأدبية، من خلال استكشاف التجارب الإنسانية المشتركة لأن النصوص تظهر القيم الإنسانية التي تجمع بين مختلف الشعوب، وهذا يطور من الفهم المتبادل.

أما عن توظيف الرمزية والدلالات؛ فتعتبر الرمزية أداة فعالة في التعبير عن الأفكار المعقدة، وهو ما مكّن "إبراهيم الكوني" من إيصال رسائل عميقة من خلال الصور الأدبية، والبحث عن المعاني الخفية بالسعي إلى خلق تجارب قراءة غنية تحفز القارئ على التفكير والتأمل في المعاني الخفية.

وتهدف النصوص الأدبية في روايات "الكوني" إلى تقديم رؤى جديدة حول الهوية الثقافية، ونقد الأنظمة الاجتماعية والسياسية البالية، وتعزيز الحوار بين الثقافات من خلال استخدام التاريخ والتراث الشفهي الغزير بالدلالات التي تسعى إلى خلق تجارب قراءة فعالة تثرى الفهم الإنساني.

#### 1/ القيم الإنسانية برؤى فلسفية:

إذا ما تساءلنا حول استطاعة الرواية في تنمية الشعور بالهوية الجغرافية واستكشاف العوالم الداخلية للصحراء فإنه يمكننا اعتبار السرد في "الفضاء الصحراوي" وسيلة لتجسيد المشاعر الإنسانية العميقة، حيث يسعى "الكوني" من خلال كتاباته إلى التعبير عن الصراعات الداخلية والبحث عن الهوية، إذ تعبّر هذه النصوص عن رحلة الإنسان في البحث عن "الذات"، وحلّله قضية الانتماء والاعتراب، وتناول أعماله الروائية لشعور الفرد بالهميش أو التمرّك، مما يبرز التوتر بين الهوية الثقافية والتجارب الشخصية، دون أن ننسى تعرّب "إبراهيم الكوني" بسويسرا منذ عدّة عقود.

وبتأكيدنا من تأثير البيئة على الكتابة يجب أن نذكر أن البيئة الصحراوية تلعب دوراً محورياً في تشكيل نصوص "الكوني" الروائية، حيث تعبّر عن التحديات الطبيعية والاجتماعية التي يواجهها الأفراد، لتعكس الكتابة حول "الصحراء" جمالياتها وتعقيداتها في الآن ذاته، أما عن الرمزية في المشهد الصحراوي؛ فالروائي في نصوصنا التي نحن بصدد دراستها يستخدم الرموز المرتبطة بالصحراء للتعبير عن القيم الإنسانية مثل العزلة، القوة، والحرية؛ مما يساعد القارئ على فهم أعمق للأفكار المطروحة.

وإذا ما تحدثنا عن لغة وأسلوب "الكوني" في رواياته؛ فإنه يعتمد في كتاباته على أسلوب شاعري يُعبر من خلاله عن الجمال والغموض في الحياة الصحراوية، كما يستخدم اللغة بشكل مبتكر لخلق صور قوية تعكس التجارب الإنسانية، ففي السرد يستخدم "الكوني" السرد المتعدد الأبعاد لتقديم وجهات نظر مختلفة، لينعز من عمق نصوصه وليجعلها أكثر تفاعلاً مع القارئ.

هذا ونجد الروائي الليبي يلجأ عادة إلى نقد الواقع؛ إذ تتناول رواياته ذات السرد "الصحراوي" القضايا الاجتماعية والسياسية والثقافية والأيدولوجية، من ظلم وفقر واستعباد وعرق... مما يعبر صراحة عن رفضه للواقع المعاش، كما تعتبر هذه الروايات وسيلة للاحتجاج والتغيير، دون أن يتناسى "الكوني" تحديات الهوية؛ فأعماله السردية تجلي تلك التحديات التي تواجه الهوية الثقافية في ظل التغيرات الاجتماعية والسياسية، لإبراز المضمير الثقافي المتمثل في الصراع المستمر بين التقليد والحداثة.

وهنا يُعتبر "السرد الصحراوي" تجربة غنية تعكس الهوية الإنسانية من خلال كشف واستكشاف العواطف والبيئة لهذا الفضاء الرحب، كما تسلط أعماله الضوء على القضايا البشرية والثقافية والتراث الشعبي الصحراوي، فيستخدم "إبراهيم الكوني" اللغة بشكل فريد ومبتدع لخلق مشاهد فريدة على بساط مكاني كان يُنظر له على أنه الهامش الغابر في اللا زمن، لينجد أعمال "الكوني" نافذة مفتوحة على مصراعيها لفهم التحديات التي تواجه الإنسان الصحراوي - بشمال إفريقيا - في سعيه نحو الهوية والانتماء والبحث عنها في جغرافيا التاريخ.

## 2/ تأثير فضاء "الصحراء" في السرديات العربية المعاصرة:

تعد البيئة الصحراوية مرآة للهوية كما تُعتبر ببساطة تجسيداً للقيم الأخلاقية؛ إذ تحمل "الصحراء" خلفيتها غنية تجسد القيم الثقافية والتقاليد العريقة من خلال تصوير الحياة في الصحراء، ومن خلالها يُعبر الروائي عن الهوية الوطنية والانتماء، كما يُبرز "الكوني" بوضوح من خلال رواياته كلها تلك الروابط بين الجيل الحالي وتاريخ الأجداد، والقصد من ذلك صقل وتنقيف الأجيال وزيادة من الوعي الثقافي وخلق الشعور بالاستمرارية.

والقارئ لروايات "الكوني" يلاحظ استعماله الرموز بكثرة؛ وهي - أيقونات - تتعد عن المدينة وترقي في حضن "الصحراء"؛ مثل الماء والرمال والثوق والتخيل... للتعبير عن الصراعات الإنسانية والتحديات على أرض تزداد اتساعاً لتنبك أن أرض الله واسعة، ويُعتبر الماء فيها رمزاً للحياة، بينما تمثل الرمال منبع التحديات والصعوبات، كما يعلم فيها الجمل الإنسان معاني الصبر والتحمل، وتدرس فيها النخلة بني البشر صفات المروءة والعطاء الدائم والشموع واللباء؛ وهذا لا يتأتى لأي كاتب إلا إذا امتلك لغة تحتوي "الصحراء" وتوثق لها باستخراج ثرواتها ومنافعها لمن يقدر عظمتها وسحرها، وقصد التحكم في اللغة الشعرية؛ التي تُعبر عن الجمال والقسوة في البيئة الصحراوية، والارتكاز على أسلوب أدبي يخلق صوراً حيّة تلامس مشاعر القارئ في كل آن وزمان.

إنَّ تحديات الحياة تدفع أعمالَ "الكوني" الأدبية إلى تناول الصراعات اليومية التي يواجهها الإنسان في "الصحراء" مثل الفقر والإغتراب والبحث عن تمثيل ذاته، هذه الصراعات التي تعكس التوتر بين الرغبات الفردية والواقع الاجتماعي، كما تظهر الترابط بين الأفراد وكيف يمكن للأفراد أن يتحدوا في مواجهة المفاوز والصعاب، مما يبرز أهمية التضامن والمشاركة في الحياة المجتمعية من جهة، ومن جهة ثانية يلجأ "الكوني" إلى نقد الواقع الاجتماعي وتسلط الضوء على الظلم؛ إذ تُعتبر سردياته وسيلةً لنقد الواقع الاجتماعي المزري، أين تتركز مظاهر الظلم والفقر، كما يُعبر عن رفضه للواقع من خلال سرد تجارب شخصية شتى، والتركُّز وراء البحث عن الأمل رغم التحديات، فيسعى إلى إيجاد بصيص من الأمل، وهنا تظهر قدرة ساكنة الصحراء على التكيف والتغيير.

ليُعتبر تأثير "الصحراء" في الرواية العربية والجزائرية المعاصرة عميقاً ومتعدد الأبعاد؛ حيث تُجسّد السرديات الصحراوية الهوية الثقافية والتاريخ، كما تُبرز الرموز واللغة الشعرية المستعملة فيها التحديات والصراعات التي يواجهها الأفراد، وهذا يقوّي الفهم الإنساني ويعكس الروح القتالية للمجتمعات الصحراوية، وهنا يسهل التعبير بالكتابات السردية - الصحراوية- عن مشاعر عميقة تتعلق بالانتماء والاعتراب، من خلال استخدام "الفضاء الصحراوي" كخلفية ومرآة عاكسة للتوتر والانفتاح الداخلي لدى المجتمع الصحراوي.

هذا الفضاء الذي يكشف أيّ ذات تلامس أقدامها ترابها الذهبي؛ إذ تلعب البيئة الصحراوية دوراً عظيماً في استكشاف الذات، حيث يُعبر الكتاب ومنهم "الكوني" عن تجاربهم الحياتية من خلال صور رمزية، وبالاعتماد على لغة غزيرة بالاستعارات؛ فالاستعارات تفيد في تعميق الفهم، كما تمثل العناصر الطبيعية مثل الماء والزمان مجالاً خصباً للرمزية ومستوى دلالي غنياً لإثراء مقروئية المطلع على كتابات "إبراهيم الكوني".

كما عمل "الكوني" على جعل نصوصه السردية ملجأً للترابط الاجتماعي؛ إذ تظهر رواياته أهمية التضامن بين الأفراد في مواجهة الصعوبات، وزرع ثقافة بحث وتقوية الروابط الاجتماعية، وتستند نصوص "إبراهيم الكوني" إلى تاريخ الأجداد، مُعززةً بتلك الهوية الثقافية والموروث الشعبي، فالروائي يبحث عن الهوية الصحراوية؛ لذا نجد أعماله لا تترك مجالاً لنسيان القضايا المتعلقة بالهوية وكيف يمكن أن تؤثر التحولات الاجتماعية والسياسية والثقافية على مفهوم الذات؛ "فالكوني جعل من الصحراء استعارة للوجود، بل مركز الوجود الإنساني ككله، فكان متصوفاً صحراوياً، أوقف أعماله عليها، باحثاً عن لغز الوجود كله.."<sup>1</sup>

ليُعتبر "الصحراء" عنصراً محورياً في تشكيل الوجدان الأدبي - السرد الصحراوي-؛ حيث تُعبر كتابات "الكوني" عن عمق المشاعر الإنسانية والتحديات المجتمعية، كما تُستخدم الرمزية فيها مصحوبةً باللغة الشعرية لخلق تجارب غنية تُعزز من الفهم الثقافي وتبرز الروابط الاجتماعية، مما يجعل السرد الصحراوي وسيلة فعالة للتعبير عن الهوية والوجود، ولا بُدَّ على الروائي "إبراهيم الكوني" أن يضمن بقاء "الصحراء" في نصوصه، لذا هاهو يلجأ إلى كشف

أساطيرها الخفية؛ "فالأسطورة تُخرجها من الخصوصية التاريخية إلى العمومية والتجريد، بحيث يجد فيها الجميع تعبيراً عن قناعاتهم وتطلعاتهم، وتكريساً لكل القيم التي يؤمنون بها..."<sup>2</sup>

إذ تُعبرُ الكتابات عن الصراعات النفسية التي يواجهها الأفراد في بيئة قاسية مثل الصحراء، لجعل القارئ متمكناً من فهم الإنسان الصحراوي وتجارب الإنسانية، كما يستند "الكوني" إلى تجارب شخصية عميقة تظهر كيفية التأقلم مع التحديات اليومية، والقصد من ذلك هو إبراز قوة الإرادة البشرية، أما الرموز المستخدمة في الأدب الصحراوي فتدلل على القيم الثقافية والتقاليد، مثل الماء الذي يمثل الحياة والأمل، والزمالك التي قد ترمز إلى العزلة والجذب، إضافة إلى أن اللغة الشعرية تُستخدم بشكل مبتكر لخلق صور شعرية تلامس عواطف القارئ، للرفع من شأن جاليات النصوص الروائية - الصحراوية، والتي تُسلط الضوء على القضايا الاجتماعية والسياسية، كما تُعبر عن معاناة الأفراد في مواجهة الظلم والفقر والقهر، وتُظهر كتابات "الكوني" كيفية تأثير الظروف الاجتماعية والسياسية على الهوية الفردية والجماعية، مما يُعكس الصراعات الثقافية، ورغم التحديات يسعى "الكوني" إلى تقديم بصيص من الأمل؛ حيث تُظهر الشخصيات في رواياته قدرتها على التكيف والتغيير، كما تُعزز نصوصه من أهمية التضامن بين الأفراد، مما يُعكس الروابط الإنسانية في مواجهة الصعوبات؛ إذ يُعتبر تأثير البيئة الصحراوية عميقاً في تشكيل السرد الصحراوي، كما تُعبر كتابات "الكوني" عن الصراعات الداخلية والمشاعر الإنسانية، والتي تُستخدم فيها الرمزية واللغة الشعرية لتقديم تجارب غنية تُعزز من الفهم الثقافي والاجتماعي، مما يجعل (الأدب الصحراوي) وسيلة فعالة للتعبير عن الهوية والخبرة البشرية.

ويضيف "الكوني" قائلاً: "هناك حافظ يدفعني منذ زمن بعيد، وهذا السر يتجول في داخلي ويفرض علي أن أحاول التعبير عنه؛ سواءً بوسائل التعبير المباشر كالمقال أو الدراسة النقدية، أو بوسائل التعبير الفني كالفن الرواية..."<sup>3</sup>

3/ الفضاء الصحراوي في كتابات "إبراهيم الكوني":

تُعكس الكتابات الأدبية الصراعات والتجارب الإنسانية العميقة، حيث تُظهر كيف تؤثر البيئة القاسية على النفس البشرية، ثم إن النصوص تُبرز مشاعر القلق والتوتر الناتجة عن الحياة في الصحراء، مما يُعزز من عمق التجربة القرائية، كما تُستخدم الرموز المرتبطة بالصحراء، مثل الجفاف والحصب... للتعبير عن الصراعات الداخلية والجماعية، دون أن ننسى تناول كتابات "الكوني" للقضايا الاجتماعية والسياسية، مُعبرة عن معاناة الأفراد في ظل الظروف القاسية، فتُظهر أعماله تأثير التغيرات الاجتماعية والسياسية على الهوية الثقافية، مما يُعكس الصراعات المستمرة، ورغم التحديات تسعى سرديات الصحراء إلى تقديم شيء من البصيرة والتطلع نحو المستقبل، من خلال إظهار قدرة الشخصيات على التكيف والنمو والتطور، إذ تُعزز نصوصه من قيمة التضامن بين الأفراد في مواجهة الصعوبات، مما يُعكس الروابط الإنسانية القوية، لتُعتبر البيئة الصحراوية عنصراً هاماً في تشكيل الكتابات الأدبية - الصحراوية، فهي تُعبر عن

الصراعات الإنسانية والتجارب الثقافية، كما يستخدم "الكوني" الرمزية واللغة العميقة لخلق نصوص غنية تجلي الفهم الاجتماعي والإنساني، مما يجعل النص السردي الصحراوي مغزلاً فعلاً لبناء الهوية وهدم وتذليل ما يقابله من التحديات. ويضيف "إبراهيم الكوني" عن "الصحراء" - صحراء ليبيا والجزائر خصوصاً - قائلاً: "من أراد أن يعيش حراً عليه أن يقبل بالحياة في الجحيم؛ في الصحراء جحيم جميل لأنه جحيم الحرية، فهنا فقط عليك أن تدفع ثمن الحرية القاسي، عليك أن تتحمل المسؤولية كلها، تواجه الموت في كل لحظة، لأنك لا تنتظر إحساناً من أي أحد؛ تنتقل وحدك، وتتقاتل مع الوحوش ليطعم نفسك، وتدافع عن نفسك بنفسك، وتواجه الخطر وحدك وتموت وحدك، كل هذا لأنك اخترت الصراط الصعب؛ صراط العزلة والحرية..."<sup>4</sup>

وتعتبر "الصحراء" رمزاً للخشونة والصعوبة؛ حيث تُعبر عن التحديات التي يواجهها الفرد في حياته، إذ تجسد البيئة الصحراوية مشاعر الاغتراب والشعور بالوحدة، فتعكس روايات "الكوني" كيفية تفاعل الإنسان مع هذه البيئة القاسية، مما يبرز الصراعات الداخلية والخارجية، كما يعتبر الخشوع في مواجهة الصعوبات رمزاً للثبات والإصرار، تتداخل فيه الخشونة مع الأمل في التغيير والتطور، وتظهر الرمزية أيضاً كيفية يمكن تمكن "الصحراء" من جذب الروح البشرية، لتعبر عن البحث عن الهوية والانتماء، أما عن رمزية الماء؛ فيعدّ عنصراً أساسياً في الصحراء، إذ يرمز إلى الحياة والأمل، وتتناول سرديات "الكوني" كيف يمكن أن يكون الماء مصدراً للإنعاش في بيئة قاسية، وتسيطر نصوص "إبراهيم الكوني" الضوء على التحديات الاجتماعية والثقافية التي تواجه المجتمعات في "الصحراء"؛ فالظلم يعني الزوال والانهيار في منطقة الساحل الإفريقي لا محالة، زيادة على شح المطر مما يهدد حياة الثبات الصحراوي والحيوان الذي يقتات عليها سكان هذا الفضاء الشاسع، وبالتالي نهاية عرق بشري عظيم بتاريخه وثقافته وأجداده، ونعني بذلك قبائل "الطوارق" وهنا يذكر "الكوني" على لسان كبير القبيلة القائل: "هذا البر سر قوة القبيلة، والبر هو نقطة ضعفها أيضاً؟..."<sup>5</sup>

لنعتبر "الصحراء" رمزاً قوياً في روايات "الكوني"؛ تُعبر عن الصعوبات والتحديات التي تواجه الإنسان، وتستخدم الرموز مثل الماء والبر لتجسيد الأمل والعمق الروحي، مما يضيف فهم القضايا الثقافية والاجتماعية، كما تظهر الكتابات كيف يمكن للأفراد أن يجدوا القوة في مواجهة الظروف القاسية، مما يعكس الروح الإنسانية.

ولقد اندهش عديد القراء من كتابات "الكوني"؛ باعتبارها مزيجاً ومنبعاً للتراث المعرفي، وثقافته الغزيرة، إضافة إلى أنه من عرق "الطوارق" الليبية، مما جعل منه آلة عقلية لا يخرج منها سوى المجاز الحقيقي الذي تتراوح فيه فلسفة الواقع وأسطورة الرؤى المذهلة.

#### 4/ من الأسطورة إلى تمثيل الواقع الصحراوي:

إن أي قارئ لما يكتبه "الكوني" سيفاجأ لا محالة لغزارة المعرفة وحفظه للتراث الصحراوي المروي؛ كل هذا استخدمه الروائي في نصوصه السردية، حيث امتزجت فيها الثقافة الشفهية بالكتابة الروائية الرقيقة، لتأتي الأساطير

الصَّحْرَاوِيَّةُ فَتَسْكَبُ عِبْقَ السَّيْحِ وَالْخُرَافَةِ تَارِكَةً بَرِيقاً مُدْهَشاً، دُونَ أَنْ نَنْسِيَ اسْتِخْدَامَهُ لِلْغَةِ مَفْعَمَةً بِالشَّاعِرِ وَالشَّاعِرِيَّةِ وَالْغَنِيَّةِ بِالْوَانِ عَدَّةً مِنَ الدَّلَالَاتِ، فَتَجْعَلُ الْقَارِئَ مَشْدُوهاً بِوَقَعٍ لَا يَخْلُو مِنْ تَرْكِيزِ الْعَقْلِ، قَصْدَ الْوَصُولِ إِلَى مَا يَقْرَأُهُ مِنْ مِيتَافِيزِيكَ لَا مَحْدُودَةٍ؛ "هَذِهِ الْخِبْرَةُ الْفَرِيدَةُ الَّتِي تَنْقُلُنَا إِلَى عَالَمِ الصَّحْرَاءِ؛ صَحْرَاءِ الطَّوَارِقِ بِأَسَاطِيرِهَا وَأَعْرَافِهَا فِي مَزْجٍ مِنَ الْحُلْمِ وَالْوَقَعِ، اخْتَرَلَهَا لَنَا إِبْرَاهِيمُ الْكُونِي فِي لَوْحَةٍ إِبْدَاعِيَّةٍ وَبَتَّ الْحَيَاةَ فِي أَجْزَائِهَا مِنْ خِلَالِ نَسِيجٍ رَوَائِيٍّ مُحْكَمِ الْبِنَاءِ، وَلِغَةِ شَاعِرِيَّةٍ مَشْحُونَةٍ بِالرُّمُوزِ وَالِدَّلَالَاتِ؛ عَبَّرَتْ عَنْ رُؤْيَا فِكْرِيَّةٍ وَفَلَسْفِيَّةٍ فِي فَهْمِ هَذَا الْوَقَعِ غَيْرِ الْمُنْتَهَايِ وَسَبَّرَ أَغْوَارَهُ بِبَرَاةٍ تَجْعَلُنَا نَلَامُسُ تَفَاصِيلَهُ وَنَسْمَعُ أَصْدَاءَهُ وَنَفْعَلُ مَعَهُ بِقَسْوَةٍ تُحَاكِي صُعُوبَةَ الْحَيَاةِ وَجَفَافِهَا فِي هَذِهِ الصَّحْرَاءِ..."<sup>6</sup>

إِنَّ الزَّوَائِيَّ يُبْهِرُنَا بِجَعْلِ الصَّحْرَاءِ تَتْرَاقُضَ ضَجَّةً وَحَرَكَةً رَغْمَ سُكُونِهَا وَقَطْعِهَا وَقِسَاوَتِهَا؛ فَهُوَ يَنْتَكِزُ عَلَى ثِقَافَةِ هَذَا الْفَضَاءِ الشَّاسِعِ وَتَارِيخِهِ وَحَضَارَتِهِ، دُونَ أَنْ نَنْسِيَ تِلْكَ الْقِيَمَ وَالْمُبَادِئَ لِلْإِنْسَانِ الصَّحْرَاءِ، رَغْبَةً مِنْهُ فِي اسْتِرْجَاعِ هَذَا الْمَجْدِ الضَّاعِ، فَعَمِلَ عَلَى نَفْضِ الْغُبَارِ عَنْ تَارِيخِ الْأَمْجَادِ وَالْأَجْدَادِ.

إِنَّ "الصَّحْرَاءَ" تَرْتَضُ فِي عَقْلِ وَمِخْيَالِ "الْكُونِي"؛ إِنَّهَا مَنْفَاةٌ وَمَغْنَى صِبَاةٍ وَمَسْقَطُ رَأْسِهِ، وَسَفِينَتُهُ الَّتِي سَافَرَ بِهَا إِلَى الْفَضَاءِ الزَّوَائِيَّ - الْمَرْكَزِ - سُويسِراً، وَهِيَ هِيَ الَّتِي تَكَلِّمُ بِلُغَتِهَا دَاعِيَاً الْإِنْسَانَ إِلَى ضَرُورَةِ الْإِعْتِنَاءِ بِالثَّرَوَاتِ الصَّحْرَاوِيَّةِ؛ الْحَيَوَانِيَّةِ، الْبَتَاتِيَّةِ، الْمَائِيَّةِ وَالْإِنْسَانِيَّةِ، "الصَّحْرَاءُ" الَّتِي اسْتَعْلَمَهَا الْإِسْتِعَارُ الْإِيطَالِيَّ بَلِيْبِيَا، وَالْإِسْتِعَارُ الْفَرَنْسِيَّ بِالْجَزَائِرِ، فَيَذْكُرُنَا بِالْقَصَصِ التَّارِيخِيِّ مِنْ خِلَالِ رَوَايَتِهِ عَنْ مَخَالَفَةِ الْإِنْسَانِ الصَّحْرَاوِيِّ لَمَّا جَاءَ فِي دَسْتَوْرٍ "أَتَمِي" الَّذِي رَسَمَ لِلرَّجُلِ الْأَزْرَقِ مَعَالِمَ وَمُبَادِئَ وَقِيَمَ وَسُبُلَ حَيَاتِهِ وَمَعَاشِهِ، كَمَا حَذَّرَ فِي رَوَايَاتِهِ جَمِيعَهَا؛ "الْبَيْتَرُ" وَ"نَزِيفُ الْحَجَرِ"... مِنْ مَغْبَةِ الدَّمَارِ وَالْتَّارِ الَّذِي سَيَطُلُ الْعَالَمَ وَالذَّاتَ الْإِنْسَانِيَّةَ نَتِيجَةً اقْتِرَافِهِ جَرَائِمَ شَتَّى ضِدَّ الطَّبِيعَةِ الصَّحْرَاوِيَّةِ، وَأَتَمَّا بِصَدْدِ تَقْدِيمِ دَرِيْسٍ قَاسٍ لِإِضْرَارِهِمْ بِنَوَامِيْسِ الْكُونِ.

وَأَنْتَ تَقْرَأُ رَوَايَاتِ "الْكُونِي" تَدُلُّكَ ثِقَافَتُهُ إِلَى عَدَّةٍ مَعَارِفَ تُزِيلُ كُلَّ مَا يَصَادِفُكَ مِنْ مَعَارِفٍ مَبْهَمَةٍ، كَمَا يُوْرِدُ فِي رَوَايَاتِهِ "قَرَأْنَا كَرِيماً" وَإِرثاً شَعْبِيّاً طَارِقِيّاً، وَمِمَّا نَذْكُرُهُ قِصَّةَ الْجَرِيْمَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ الْأُولَى لِقَابِيلَ وَهَائِيلَ فِي رَوَايَتِهِ "نَزِيفُ الْحَجَرِ"، وَالَّتِي يَذْكُرُنَا فِيهَا بِأَنَّ أُمَّةَ الْإِنْسَانِ وَأُمَّةَ الْحَيَوَانِ تَتَمَثَّلُ حَذَّ الْعَجَبِ وَالْغَرَابَةِ، وَيُضَيَّفُ لِلْقَارِئِ قِصَّةَ "الْكَاهِنِ وَالْمَوْتِ" الَّتِي أَحْبَبَ الصَّحْرَاءُ مِنْ جَدِيدٍ، وَذَكَرَهُ لِفَضْلِ الْآلِهَةِ وَمَا لِلْقَرَابِينِ مِنْ دَوْرٍ فِي رِضَاهَا عَنِ الْبَشَرِ، وَتَرْكِيزُ الزَّوَائِيَّ عَلَى قِصَصِ الْحَيَوَانِ ضَارِباً مِثَالاً فِي رَوَايَتِهِ "نَزِيفُ الْحَجَرِ" عَنْ "الذَّبِّ" الَّذِي قَدَّسَ سِرَّهُ كُلَّ مِنْ "الْغَزَالِ وَالْخُرُوفِ"؛ إِذْ حَايَاهَا مِنْ بَطْشِ الْإِنْسَانِ وَأَنَانِيَّتِهِ.

فَالْهَدَفُ مِنْ رَوَايَتِهِ "نَزِيفُ الْحَجَرِ" هُوَ تَحْرِيمُ فِعْلِ الْبَشَرِ اتِّجَاهَ الْكَائِنَاتِ الْحَيَّةِ، وَأَنْ يُنْهِيَ حَيَاتَهَا بِمِثَالِ أَنْهَاءِ حَيَاةِ الْإِنْسَانِ مُقْتَبِساً الْآيَةَ الْقُرْآنِيَّةَ الْآتِيَةَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: "وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمٌّ أَمْثَلُكُمْ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ"<sup>7</sup>

كما يقدّم في الرواية ذاتها قصةً أسطوريةً عن "الجمادى"؛ والمتمثّل في "الجبل" الذي تعرّض لظلم الكتبان الرّمليّة، والتي رضت على صدره، حيث انتصرت لها الآلهة بمعية الرّيح إذ "عاقبت الآلهة الجبال بقطع رؤوسها، التي استعملتها في حثّ الشّحْب على إسقاط المطر لإثارة الفيضانات.."<sup>8</sup>

هذا الصّراع الأبديّ الذي يُصوّرُه "الكوني" يحثّ من خلاله على أنّه سنّة الكون قائلاً: "تمتدّ الجبال الرّماديّة الأسطوريّة الغامضة على طول الشّريط الشّرقّي، وتواجهها من النّاحية الثّانية المقابلة كتبان الرّماليّ الدّهبيّة متوثّبة متحفّزة مستعدّة للعراك والانتقام.."، ليبقى الرّوائيّ الصّراع دائماً والغلبة مؤقتة بين المتخاصمين، يوم فوز وآخر خسارة، وهي سنّة كونيّة أخرى.

يتراءى لقارئ روايات "إبراهيم الكوني" أنّه يستخدم شخصيّات بشريّة أو جادات أو حيوانات داخل سياق الأسطورة، ممّا يجعل الأحداث تبتعد عن الرّمكان؛ فلا يُعرف ميلادها ولا تاريخها ولا أصلها؛ ومثال ذلك تراوُح وتناسل الجبال كالبشر، كما أنّه يعتمد على إنقار الوصف والثّعوب إلى حدّ بعيد، فيصفّ الجبال على أنّها مخلوقات لها كبرياء، سوداء مصقولة، حوافها حادة مخيفة، فيقول ناعماً لها: "رسوم أهل الرّمان على الجبال تتحوّر حول رجال يُخفون وجوههم بأقنعة، على رؤوسهم تنتصب قرون، يحملون في أيديهم سيوفاً، يطاردون أشباحاً نصفها الأعلى مخلوقات بشريّة، ونصفها السفليّ حيوانات حقيقة.."<sup>9</sup>، كما يُبدع "الكوني" في وصفه لحادثة وقوع بطل روايته "أوخيد" في شقّ جبليّ قائلاً: "سدّ فوهة الشّقّ بالأحجار وحشّر جسمه في حبسه الجديد، جاد الفضاء الصّحراويّ على (أوخيد) بالمناعة والحصانة، حيث يصعب اقتحام الكهف من قِبَل الأعراب، من أهل الواحات والعدو من الغزاة، فكأنّه نسر في قمة جبل آمن لا يسكنه سوى الجنّ.."<sup>10</sup>

وكأنّ "الكوني" يدعو القارئ إلى اقتباس سورة "الكهف" أو لملاحظة التّناص في قصّة الرّسول الكريم وصاحبه في "غار حراء"؛ ووجه الشّبه بينهما هو الابتعاد عن الأذى والتّحصّن بالطّبيعة - الجبل - أمّا وجه الاختلاف؛ فقصة "غار حراء" من صنع الخالق أمّا قصة "أوخيد" فمن صنع المخلوق، وفي ذكره لحيوان "النّسر" فيرمز إلى الحرّيّة والوحدة الصّلبة والقوّة والاعتماد على النّفس، وفي استدعاء شخصيّة "الجنّ" هو استدعاء للرّهبة والجلال قائلاً: "المكان رحم أمّه الدّافئ، المكان الطّفوليّ، محراب الحبّ والطهر، التّلقائيّة والحميميّة والانتقاط إلى عمق الأشياء وبداياتها.."<sup>11</sup> ورغم انجباس "أوخيد" داخل الشّقّ من الجبل إلّا أنّه نام نوما هيناً، فالمكان غزير مُشع بالتّناقض الصّارخ؛ الحبس والحرّيّة، الخوف والأمن، الموت والحياة، حيث يقول الرّوائيّ: "تمدّد (أوخيد) في هذا المكان على هيأته الأولى عندما كان جنيناً في بطن أمّه.."<sup>12</sup>

أمّا عن استخدام "الكوني" للبيّن في رواياته فمرادّه الرّمزيّة الدّينيّة؛ إذ يذكّر القارئ بـ "بئر زمزم" الذي يسمع عنه أيّ مسلم على ظهر البسيطة، والذي كان نتيجة دعاء زوج سيّدنا "إبراهيم عليه السّلام" - هاجر - لله عزّ وجلّ

في أن يبقى حياة صغيرها سيّدا "إساعيل عليه السّلام" بتكرار لفظة "زَم... زَم" نبغ الماء في تلك القفار الشاسعة، أي "تَجَمّع... تَجَمّع" وسط صحراء شبه الجزيرة العربيّة التي لا حياة تدبّ عليها؛ أرض قاحلة يُعتبر وجود الماء فيها ضرباً من ضروب الاستحالة، لتصير بفضل الخالق ملتقى كلّ البشري ومركزاً للكون بعدئذ كان مركزاً للموت والفناء، وليتحول "الفضاء الهامش" إلى "فضاء مركزي"؛ واقعي: "الفضاء عند الكوني عنصر من عناصر البناء الروائي، وهو إنتاج لاستعمال تراكمي للدلالة، يُفيد القارئ في بناء معنى الخطاب الروائي، ويُشكل مظهراً من مظاهر نشاط القراءة..."<sup>13</sup> ولا ندر لحّد كتابة هذه الأسطر علاقة "الكوني" بذكره "البئر" بكثرة في رواياته، وزيّاً جعل منه المادّة والفضاء المكاني الوحيد الذي تعشقه "الصحراء"؛ "الحضور الفاعل للوحدات المكانيّة خاصّة والفضاء الروائي في المدوّنة بصفة عامّة، أنّ المؤلف جعل من الفضاء علامة متميّزة في الكتابة الإبداعية، وسمة تُؤكّد التّفرد والخصوصيّة، فاستعمال البئر هنا يخرج من كونه مكاناً قد يوجد في أيّ فضاء آخر إلى اقترانه بالفضاء الصحراوي اقتراناً فتيماً معه يكتسب حركة شاملة تُحمّله في العمل الروائي، وتجعله حاضراً في بقية عناصره، سواء تعلّق الأمر بالشخصيات، أو بالزمن أو المستوى اللغوي، أو المستوى الجمالي لبنية المدوّنة؛ كلّاً متفاعلاً متسقاً ومتكاملاً..."<sup>14</sup>

على أنّ الفضاء المكاني حسب الدكتور "عبد الملك مرتاض" - رحمه الله - يعمل على تحريك الوقائع والأحداث، بل ويشارك العمل الحكائي، وكلّما كان هذا الفضاء واسعاً كلّما سمح للشخصيات بالتبحر والتحرّك أكثر حيث يقولون: "أهمّ وظيفة من وظائف المكان هي العمل في أغلب الأحيان على السّماح للفعل الحكائي من الحدوث..."<sup>15</sup> و"الكوني" يبرز سرّ وروعة المكان وعجائبيته في رواياته ذاكراً "جبال الهُجّار"؛ التي إحتوى فيها المجاهدون "الطّوارق" ضدّ المستعمر الفرنسي، حيث اختار هذا المكان زعيم القبيلة "غوما" فنجا الجميع من الإبادة العرقية، بل انتصروا براءة وجنّة وجهاد، وجاء هذا في قول "إبراهيم الكوني"؛ "... حاولتُ قوَّات العدو الفرنسيّة فكّ الحصار بالزحف شمالاً عبر طريق (العوينات) ولكنّ نيران القناصة المربطين في قمم الجبال خلف الصّخور ردّتها أعقابها..."<sup>16</sup>، دون أن ننسى المكان الذي اختاره بطل الرواية "أوخيد" والذي يتمثّل في مغارة داخل جبل.

وقد كان "الكوني" بارعاً في وصف الأمكنة والجبال؛ التي نعت الرُّسوم المنقوشة على جدرانها منذ القدم، والتي تحيي التّاريخ في ذاكرة الرّائي، لبيدع الروائي في تأريخ الأساطير وأسطرة التّاريخ على وجه الوقائع والتّجارب الحقيقيّة لشعوب المنطقة.

كما يجعل نصوصه السردية "فناً" تجري أحداثه أمامك؛ لأنّه يستنطق الصّور والرّسومات التّاريخيّة المتشابهة مع العجائبيّة، جاعلاً البشريّ مُلمّنين لا تظهر إلّا أعينهم يطاردون أشباحاً وتطاردهم مخلوقات غريبة، مستنضاً السرد الصحراويّ أسطوريّاً وتاريخيّاً.

وما عُرف عن "الكوني" تقديمه حيوان الصحراء؛ باعتباره مرآة عاكسة للمكان، كما يُعبّر عن ثقافة وقيم ساكنة هذا الفضاء الصحراوي الرّحب، فالإنسان والحيوان – الصحراويّان - لها علاقة حبّ ومصالحة وأسرارٍ لا تُعدّ ولا تُحصى. وهذا ما نجده في رواية "البقي" وما يُظهره "إبراهيم الكوني" من علاقة رائعة بين الإنسان الصحراويّ و"الجمل" الذي يُسمّيه في هذه الرواية "الأبلق" فيصفه مادّيًا ومعنويًا قائلاً: "أبلق رشيق مشوق القوام، نبيل شجاع وفيّ.."<sup>17</sup>، ويُضيف قائلاً: "هم يقولون إنّ (المهري) مرآة الفارس، فإذا أردت أن تنظر في الفارس وتقف على خفاياه، فتفقد فرسه.. عليك بالمهري إذا أردت أن تعرف صاحبه.."<sup>18</sup>، بل ونجد الرجل الصحراويّ يهتم به ويدلّه أكثر من اهتمامه وتدليله لزوجته وأبنائه، ممّا يجعل النساء متمتعاتٍ من المهاريّ والخيول، وهذا ما جاء في قول "الكوني" على لسان البطل قائلاً: "إنّ غيرتها من الأبلق ليست وليدة اليوم، فهذا الفرش البهي الذي استكمل به فروسيته قبل الزواج ساهم في تعلّقها به، ثمّ أصبح ضرّة بعد الزواج وغريماً بل عدواً.."<sup>19</sup>

يعشق "الكوني" حيوان الصحراء أكثر من صاحب الحيوان حتّى، ويُضاهي حُبّه للحيوان موطنه "الصحراء" وهو القائل - على لسان أوخيد-: "الحيوان خيرُ صديق، الحيوان أفضل من الإنسان.."<sup>20</sup>، وقد أظهر الروائيّ تفاهماً وانسجاماً عظيمين بين البطل "أوخيد" وجمّله "الأبلق" حيث يمرض مرضه ويفرح لفرجه، وقد كان ألم "أوخيد" وبكاؤه محيراً حيناً أُصيب "الأبلق" بالجرب، وروى "الكوني" حسرته وحرزته الشديدين، وما دار من كلامٍ وحوارٍ نفسيّ داخليّ لـ "أوخيد" قائلاً: "ها قد اختفت البقع البديعة من الجسد الرماديّ، اختفت النظرة الرّكيّة في العينين السّاحرتين، القوام الرّشيق المشوق تحوّل إلى هيكليّ أسود مترهل مبقع بالظلمة، خيالٌ شاحب وبائس لكائن آخر، سبحان الله كيف يصنع المرضُ المخلوقات كائناتٍ أخرى مختلفة، المرضُ يصنع ذلك مع النّاس أيضاً، المرضُ الطّويلُ يفعل ذلك.."<sup>21</sup>

لقد مرض "الأبلق" وها هو "أوخيد" يركّض بمئة وشأمة باحثاً له عن شفاء عاجلٍ، وقد دلّه أطباءُ الحيوان في أن يبحث عن عشبة "آسيار" في بطن الصحراء، وقد حدّروه من خطورتها على صحّة "الأبلق"، ولم يجد بداً سوى أن يضع للآلهة "تاتيت" نذراً وقرباناً يتمثّل في نحر ناقّة أو جملٍ بعد شفاء "الأبلق" قائلاً: "يا وليّ الصحراء؛ إله الأوّلين، أنذِرْ لك جملاً سميناً، سليم الجسم والعقل، إشِف (أبلقي) من المرض الخبيث، واحمِه من جنون آسيار، أنت السّميع، أنت العليم.."<sup>22</sup>، ثمّ انطلق "أوخيد" في اتّهام النّاس بالحسد والعين قائلاً: "الحسد أقوى من السّم في تعاليم العزّافين، عين الحسود أفتك من السّم المسموم.."<sup>23</sup>

لقد تمزّقت أحشاء "أوخيد" حيناً شرب "الأبلق" عشبة "آسيار" وبدأ يتخبط أمامه المأ، ممّا يُرهق على روح الإنسان الصحراويّ الطّاهرة في الخفاء والبعيدة عن الجفاء، ولو مع حيوانٍ مُكدم صلب المخبر والمظهر كالجمل، وبعد مدّة تماثل "الأبلق" للشفاء بعد طول معاناة وقرب وفاة "أوخيد" بوفاة "الأبلق"؛ فوفاة أحدهما هي وفاة حتميّة للآخر، نعم لقد

بدأت الأزمة تنفجر؛ "يشفى الجمل وتسقطُ الجلدة الجرباء، وكأنّه يعيش حياةً جديدةً تماماً كما يفعلُ الثَّعبان؛ رمزُ الحياة المتجددة، وليدُ الأساطير القديمة، الجلدة الجرباء سقطت في الطريق، الأبلق تحرّر من جلده كما يتحرّر منها الثَّعبان.." <sup>24</sup>

وهنا نستذكر القصص العربي القديم في الشعر الجاهلي؛ الذي بين تلك الروابط العظيمة بين الإنسان العربي القديم والحيل والثافة والجمل والفرس... نستذكر قول الشاعر "المنخل يشكركي":

وأحبها وتُحبني \*\*\* ويحبُّ ناقةً بعيري.

مّا يدلُّ على التّواؤم والانسجام الروحي والمادّي بين تلك الأرواح الحرة من بني آدم وما خلقه الله لهم من أرواح نقيّة تتأبّر طهراً وخدمة لبني البشر.

كما يُبرز "الكوني" علاقة الإنسان "الطّارقي" بحيوان "الودان" - نوع من الغزلان - وأنّ هذا الحيوان موصى منذ القدم بالابتعاد عن صيده أبد الدهر - حسب قول الروائي - حينما أخلف "أسوف" وعدّ أبيه وأراد اصطاده هوى من قمة الجبل، وبقيت رجله عالقة بالحبل الذي أراد استعماله في الصيد، ليأتي الحيوان نفسه "الودان" لإنقاذه، وهنا تتقاطر الأسئلة المعنويّة من طرف الروائي: "من منها الصّحيّة؟ من منها الجلّاد؟ من منها الإنسان؟" <sup>25</sup>؛ "إنّه حتّ عظيم بقي راسخاً في خلد "أسوف" تعلّم منه الرجوع إلى أصله، وقناعته بقيم الصّحراء، ولم يغد يري "الودان" لحماً شهياً بل صار يراه أباً عطوفاً، ومخلوقاً مقتدراً يستحقّ العيش؛ "لقد أصبحت اللّحوم تفرّز، واندھش كيف كان يستطيع أكل اللّحم، كيف يستطيع المخلوق أن يأكل لحم مخلوق؟" <sup>26</sup>

يُضيف "الكوني" قصّة "الغزالة" التي أرضعت "قابيل" والذي قابلها بالحدود والشكران، بل قام بقتلها، متبها الميثاق الذي عقده مع "جدّة الغزالة"؛ والتي حدّثت حفيدتها في أن لا تغدر الإنسان بعد "رابطة الدّم" وهي أعلى وأعلى رابطة قائمة؛ "هناك سرّ آخر في التّضحية، القربان سيفتح عهداً بين نسلك وبين ابن آدم، سيحرم عليه دم ابنك وأبناء أبناء ابنك إلى أبد الأبد، هذا هو العهد؛ حصن القربان وميثاق الدّم، واللّعنّة سوف تلاحق من تسوّل له نفسه أن يخون رباط الدّم، فلا يوجد في الدّنيا كلّها أقوى من رباط الدّم، وليس هناك جريمة أشنع من خيانة هذا الرّباط.." <sup>27</sup>

وقد كانت نهاية "قابيل" آكل أمّه تراجيديّة؛ غارقة في المساويّة، يصرخ في الفلوات بأعلى صوت، يمزّق ثيابه، يسفّ الملأ، وباختصار صار مجنوناً.

لقد ارتكز "الكوني" على عدّة معارف وقيم وموارث شفويّة؛ كالأنثروبولوجيا والثقافة الشعبيّة الطّوارقيّة الصّحراويّة، وعلم الآثار وعلم الاجتماع والتّفكير من جهة، ومن جهة أخرى نجدّه واسع المعرفة بالأدب العربيّة والغربيّة، ليصنّع كلّ ما سبق في قالبٍ مُحكمٍ بصبغة الفلسفة الوجوديّة، وليعتمد على لغةٍ عظيمةٍ عظم سرد الأساطير والعجائب، فتغدو نصوصه السّردية تميّز بأسلوبٍ فنيّ راقٍ؛ يركّز على التّاريخ والتّراث.

لقد أبدع "إبراهيم الكوني" فجعل من الفضاء الهامش - الصحراء - مركزاً، بل وجعله أصل الأحداث ومنبع تطوّر الأمكنة التي تؤثّر للقيم والمبادئ البشرية الراقية، والتي تُحرّض على احترام الكائنات الحيّة لبعضها البعض خصوصاً الإنسان والحيوان.

وبذلك شديداً جعل فعل الإنسان في بحثه عن الراحة وأساليب الرفاهية ضرراً له من حيث لا يدري، وهو بُعد فلسفي يبيّن أنّ البشر تحبّ الوصول إلى غاياتها ولو حطّمت وأكلت الأخضر واليابس، ومنه يحدث الفعل وردّ الفعل، لتتجلّى شريّة الإنسان ويضمحلّ الخير فيه.

#### الخاتمة:

في ختام بحثنا نصل إلى النتائج التالية:

- إنّ الروائي "إبراهيم الكوني" ارتكز في كتاباته عن "الصحراء" أو ما نسمّيه بالسرد الصحراوي على جملة من المعارف والموايخ الشفهية، وكذا تاريخ المنطقة ورواياتها الموروثة جيلاً عن جيل، بطريقة فنيّة وإبداع منقطع النظير، فلا يتفاجأ القارئ أمّام ما يقرأه، وكأنّ الأحداث والوقائع كانت قد جرّت مرث به أو قد شاهدتها بأعينيّه، أو عاشها حتّى؟
- يستعمل "الكوني" القصص الأسطورية القومية والعالمية، ممّا يُحيل القارئ على أنّها سرّد عالمي؛ تشارك فيه كلّ البشرية، وهذا ما أدّى إلى ترجمة جُلّ روايات "الكوني" إلى لغات شتى، وهو ما يُبرهن على إجادته الكتابة الروائيّة من خلال جودة أساليبه الفنيّة والسردية.
- كانت الزيادة والتفرد والتميّز في كتابة الصحراء واستنطاقها والتأثيث لها للروائي الليبي "إبراهيم الكوني" بعد أن كانت فضاء هامشياً؛ لم يكنّب عنه الروائيون إلّا نادراً، رغم محاولات غربيّة وعربيّة، ولكنها لم ترق لغزارة وإبداع هذا الروائي القدير.

#### هوامش:

- <sup>1</sup> - هدى أبو غنيم، تجلّيات الصحراء في أعمال منيف الكوني، عود النّدى، مجلة ثقافيّة فصليّة، issn 4212-1756، العدد: 06، 2017.
- <sup>2</sup> - المرجع نفسه.
- <sup>3</sup> - المرجع نفسه.
- <sup>4</sup> - إبراهيم الكوني، رواية "المجوس"، الدّار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس، ليبيا، ودار الآفاق الجديدة، الدّار البيضاء، المغرب، 1991، ج 02، ص 155.
- <sup>5</sup> - المرجع نفسه، ص 327.
- <sup>6</sup> - عوني القاعوري، المكان في رواية "نزيف الحجر" لإبراهيم الكوني، مجلة دراسات - العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 27، 01 فبراير 2000.

- <sup>7</sup> - سورة الأنعام، الآية 38.
- <sup>8</sup> - إبراهيم الكوني، رواية المحوس، ص 129.
- <sup>9</sup> - إبراهيم الكوني، رواية التبر، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط 03، 1992، ص 68.
- <sup>10</sup> - المرجع نفسه، ص 146.
- <sup>11</sup> - زهرة سعد لاوي، أساطير الصحراء ونداء الحرية في الكتابة الروائية عند إبراهيم الكوني، 2012.. مركز النشر الجامعي. تونس.
- ص 131.
- <sup>12</sup> - إبراهيم الكوني، رواية التبر، ص 151.
- <sup>13</sup> - حسن نجعي، شعريّة الفضاء المتخيّل والهويّة في الرواية، الدار البيضاء، المغرب، المركز الثقافي العربي، 2000، ص 68.
- <sup>14</sup> - زهرة سعد لاوي، أساطير الصحراء ونداء الحرية في الكتابة الروائية عند إبراهيم الكوني، ص 134.
- <sup>15</sup> - عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية – بحث في تقنيات السرد، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب العربي، 2000.
- ص 93.
- <sup>16</sup> - إبراهيم الكوني، رواية التبر، دار التنوير للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط 03، 1992، ص 74.
- <sup>17</sup> - المرجع نفسه، ص 02.
- <sup>18</sup> - المرجع نفسه، ص 16.
- <sup>19</sup> - المرجع نفسه، ص 37.
- <sup>20</sup> - المرجع نفسه، ص 20.
- <sup>21</sup> - المرجع نفسه، ص 25.
- <sup>22</sup> - المرجع نفسه، ص 30.
- <sup>23</sup> - المرجع نفسه، ص 37.
- <sup>24</sup> - المرجع نفسه، ص 37.
- <sup>25</sup> - المرجع نفسه، ص 86.
- <sup>26</sup> - المرجع نفسه، ص 86.
- <sup>27</sup> - المرجع نفسه، ص 121.

## قائمة المراجع:

### - القرآن الكريم

1. هدى أبو غنيم، تجلّيات الصحراء في أعمال منيف الكوني، عود الدّ، مجلّة ثقافيّة فصليّة، issn 4212-1756، العدد: 06، 2017.
2. إبراهيم الكوني، رواية المحوس، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس، ليبيا، ودار الآفاق الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، 1991، ج 02.
3. عوني القاوري، المكال في رواية "نزيف الحجر" لإبراهيم الكوني، مجلّة دراسات - العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 27، 01 فبراير 2000.
4. إبراهيم الكوني، رواية التبر، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط 03، 1992.

5. زهرة سعد لاوي، أساطير الصحراء ونداء الحُرّيّة في الكتابة الروائيّة عند إبراهيم الكوني. 2012.. مركز النشر الجامعي. تونس
6. حسن نجمي، شعريّة الفضاء المُتخيّل والهويّة في الرواية، الدّار البيضاء، المغرب، المركز الثقافي العربي، 2000.
7. عبد الملك مرتاض، في نظريّة الرواية – بحثٌ في تقنيّات السّرد، الكويت، المجلس الوطنيّ للثقافة والفنون والأدب العربيّ، 2000.